

دراسات محكمة

جائحة كورونا والسخرية الرقمية  
بالمغرب

رابعة سوساني

أستاذة الدراسات العربية  
جامعة ابن زهر، أكادير-المغرب

23 فبراير 2022



## ملخص:

استهدفت الدراسة بيان دور السخرية في فترات الجائحات، وإبراز مظاهرها وأشكالها ووظائفها زمن "كورونا" في العالم الرقمي الافتراضي، في بلدي المغرب، ثم تحليل الخطاب الساخر وآلياته وكيفية اشتغاله. من خلال متن من ثمان وأربعين بطاقة ما بين لوحة، وصورة، ورسم كاريكاتوري ومنشور؛ للإحاطة بالموضوع ما أمكن في بعده الشكلي والموضوعي والزمني والشعري، وفق بنية تاريخية اقتضت مقارنة السخرية عبر مراحل ثلاث: سخرية ما قبل الحجر الصحي (بداية مارس 2019)، والسخرية فترة الحجر الصحي (مارس 2020\_ يونيو 2020)، والسخرية زمن رفع الحجر الصحي التدريجي (يونيو 2020)، مما أسفر عن اختلاف أشكال السخرية وموضوعاتها في كل مرحلة، وارتباط كل منها بنظرية للضحك مؤطرة، وبألوان من الوظائف المميّزة. كما أجلت الدراسة أهمية مواقع التواصل الاجتماعي في التفاعل الهزلي، والسخرية الجماعية المؤسسة على نقد ذاتي وثقافي واجتماعي وسياسي؛ مما أبان عن ثقافة تشاركية ساخرة، وعن أهداف موحدة.

## Abstract :

This study aims at elucidating the role of irony in periods of pandemics, highlighting its representations, functions, and forms as manifested in the digital virtual world during the age of Coronavirus in Morocco. It seeks to analyse the tools and the mechanisms of ironical discourse. Such a topic has been covered in its form, objective, and temporal and poetic dimensions through studying the content of forty-eight cards, which entail photos, caricatures, and flyers, following a historical structure that compares the question of irony through three stages: Pre-quarantine (early March, 2020), during the quarantine (March –June,2020 ), and post gradual lifting of quarantine. This reveals different forms of irony in each stage, affiliated with a formed theory of laughter and distinctive functions. Moreover, the study has revealed the importance of social media in comic interaction and collective irony, based on cultural, social, political, and self-criticism, which showed a shared ironical culture and unified goals.



## جائحة كورونا والسخرية الرقمية بالمغرب

تعاقبت على المغرب عبر تاريخه أوبئة مختلفة كثيرة، من ذلك على سبيل المثال وباء الطاعون الذي اجتاحه ما بين 1747 و1751<sup>1</sup>؛ وما بين 1818 و1820<sup>2</sup>. وفي مارس 2020، ظهر ببلادنا داء كوفيد 19 الذي عم العالم بدرجات متفاوتة، بانعكاساته على المستوى العلمي الطبي، والبيولوجي، والكيميائي، والسياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، والأنثروبولوجي، والمعلوماتي، والنفسي، والأدبي، والديني...

وقد تصدر حديث الوباء أعمدة الصحف، واستحوذ على النشرات الإخبارية، بل وخصصت له أخرى استثنائية، ووصلات توعوية، وسرى في وسائط التواصل الاجتماعي على اختلاف أشكالها وتباين روادها، بين ناقل لأخبار أو حامل لإشاعات، ومحلل لإحصائيات، ومقارن بين المدن والبلدان، وباحث للربح والحزن؛ وبين هذا وذاك، فئة واجهت الجائحة بسلاح الهزل، وأخرى تقنعت بقناع الضحك للنقد والسخرية. ولكن هل يجتمع الهزل وجد الموقف؟ وكيف يختلط الضحك بالبكاء؟ ذلك إشكال يشي بأن الكوارث تولد خطابا ساخرا له دور في تدبير الأزمات، وهذا ما نبغي توضيحه واستكناه أغواره من خلال الأسئلة التالية:

-كيف ترتبط السخرية بمجتمع له ثقافته، وله شرائحه الاجتماعية التي تبث السخرية وتلقاها وتتفاعل معها؟  
-مم ضحك في زمن الكورونا؟ ولم؟

-ما الآليات المعتمدة في إنتاج الخطاب الساخر في عالم افتراضي من خلال ما يتداول من صور وبطاقات ومنشورات ورسوم ساخرة؟

للجواب على هذه الأسئلة، ارتأينا النظر في السخرية الكورونية وفق سيرورتها التاريخية بالمغرب، من خلال محطات ثلاث، نستلها بنظرة عن الضحك من صروف الدهر.

### 1. الضحك من صروف الدهر

اخترنا مصطلح الضحك بدل السخرية لأنه جامع لضحك الإيجاب (مع/ الدعابة) والسلب (من/ التهكم والسخرية)، ولأنه ملازم للأزمات بشقيه أيضا: فالضحك لا ينأى عن الحروب، ولا تخلو منه المحابس والمنافي، بل يحضر في الجنائز والمآتم، فرب لحد ضاحك من تزامم الأضداد على تعبير المعري...

إن المتأمل لهذه الظاهرة يستكته أن منشأها عموما هو التناقض، فأفلاطون صاحب نظرية التفوق، بين في كتابه Phil Bus أن الضحك مزيج من اللذة والألم، إذ يماثل بين تسكين حكة جلدية بحكها، وبين الاستمتاع بالضحك (السخرية، الاستهزاء)، ففي الأمرين مزيج بين اللذة والألم<sup>3</sup>: فوضع اليد على الجرح مؤلم ولا شك، ولكن استصغار الجرح وتحقيره يقويان الجريح ويشعرانه بلذة الانتصار والتفوق على الألم. إن الضحك ترياق يحول المحزن إلى مضحك، فصاحب الحس الفكاهي قادر على "تحويل بعض المواقف المحزنة والباعثة على الأسى إلى مواقف مضحكة، إنه لا يأسى لما يصيبه، بل بالعكس من ذلك يبتهج بالرجوع خطوة إلى الوراء، وبالضحك والاستمتاع

<sup>1</sup> محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مطبعة النجاح الجديدة، دط، 1992، ص52.

<sup>2</sup> نفسه، ص104.

<sup>3</sup> ينظر: الضحك في الأدب الأندلسي، دراسة في وظائف الهزل وأنواعه وطرق اشتغاله، أحمد شايب، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، ط. 2، 2008، ص18.



## جائحة كورونا والسخرية الرقمية بالمغرب

بالتناقضات والمفارقات التي يزخر بها العالم، وبالتفكه بالأحزان والمنغصات يعبر الإنسان عن تحرره وانعتاقه<sup>4</sup>، كما هو الحال أيام الجائحة، حيث صدحت الكلمات لتبديد القلق والحزن المخيم على الأفئدة. كما أن موريل Morreall وكانط Kant وشوبينهور Schopenhauer بنوا الظاهرة على نظرية التنافر والتعارض. فقد يضحك الإنسان-أو يتبسم على الأقل-من فرط ألمه ومن شر بلاياه؛ كما قد يفعل من فرط سعادته، أو شدة دهشته، أو عظيم إعجابه، أو جليل تقديره؛ وأيضا من فيض سخره وتحقيره، وشدة استعلائه وزهوه، بل قد يسخر المرء من نفسه ومن الآخر. وتبعاً لتنوع بواعث الضحك تلك، جعل له الفلاسفة والمختصون تعليقات مختلفة، وصنفوا أشكاله تصنيفات ثنائية متقابلة: ضحك الاستقبال/ضحك الإبعاد، ضحك الإيجاب/ضحك السلب، كما اتخذوا له أسماء شتى: فثمة "ضحك السرور والرضى، وهناك ضحك السخرية والازدراء، وهناك ضحك المزاح والطرب، وهناك ضحك العجب والإعجاب، وهناك ضحك العطف والمودة، وهناك ضحك الشماتة والعداوة، وهناك ضحك المفاجأة والدهشة<sup>5</sup>، وهناك ضحك المقرور، وضحك المشنوج، وضحك السذاجة، وضحك البلاهة<sup>6</sup>؛ فهذه الأشكال كلها هي ردود فعل مختلفة في زمن الكورونا، تختلف حسب السياقات والمقامات، ومواقع المرسل والمخاطب، وطبيعة الخطاب.

ومع بداية الوباء المجهول الأصل والطبيعة والترياق، حاول رواد شبكات التواصل الاجتماعي أن يتعرفوا على ماهيته، إن على المستوى اللساني الصوتي، أو المعجمي الدلالي، أو الترجمي، أو الثقافي الشعبي، أو العلمي المعرفي، كما سنبين تباعاً في البطاقات التالية:

إنسان عادي : كورونا.  
صاحب العياقة : كوغونا  
فيغيس.  
رباطي : كوفيد ديزنوف.  
أسعاد دبال الإجتماعيات :  
فيروس كورونا المستجد.  
برلماني:كولونيا.  
عبيالي : كورولا.  
كازاوي : كارونا.  
طنجاوي : تايروص.  
فاسي: كووونا فيووس  
سوسي : تماضونت ناشينوي.

يختلف النبر وطرائق النطق للفظ (كورونا) الذي جرى على كل لسان في المغرب، تبعاً للخصوصيات الجغرافية الطبيعية والثقافية: ألسن متباينة تعبر عن مدلول واحد. غير أن صاحب التدقيق الصوتي أضمر سخرية إنثنية من فئات مجتمعية ترسخت طبائعها في الذاكرة المغربية، فالنمط الفكري عن الرباطيين الاستعلاء (كوفيد 19)،

<sup>4</sup> الضحك في الأدب الأندلسي، ص 93.

<sup>5</sup>الابتسام في اليابان لا تخرج عن كونها مجرد تعبير وجهي، قد اصطاح عليه اصطلاحاً، ولما كانت الابتسامة واجبا اجتماعيا عندهم، فإن الشخص الذي تلم به محنة أو كارثة، لا بد أن يجد نفسه مضطرا إلى أن يضع على وجهه قناع السعادة حتى لا يتهم أنه يريد أن يزيح أحزانه على أكتاف الآخرين، وتستخدم بعض القبائل البدائية في جنوب أفريقيا الضحك وسيلة للتعبير عن شعورها بالدهشة والحيرة والتعجب، بل والحزن العميق أحيانا. "الضحك له عند العلماء تعليقات شتى"، زكريا إبراهيم، ضمن مجلة العربي، صادرة عن وزارة الإرشاد والأنباء بالكويت، ع 97، دجنبر 1966، ص 115.

<sup>6</sup>ينظر: جحا الضاحك المضحك، عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د. ط، د. ت، ص 5\_6.



## جائحة كورونا والسخرية الرقمية بالمغرب

وعن الفاسيين تغيير النطق بسبب لثغة في الراء (كؤونا فيؤوس)، وعن السوسيين الإحجام عن اللفظ الدخيل، وعن الطنجيين تفخيمهم وتشديدهم لبعض الأصوات... ويضم النص إلى جانب ذلك، سخرية من بعض البرلمانيين الذين يمثلون الشعب.

وتتوالى محاولات كشف النقاب عن الداء النشاب، بين مجمل معنى مترجم، ومفصل دلالة كل حرف:



تحمل البطاقة 2 سؤالاً ذا قوة إنجازية استلزامية نخال معها السائل يؤكد بكل بساطة طبيعة الداء الذي أعيا علماء العالم وأعجز مهرة الباحثين، فما هو في اعتقاده إلا ترجمة لما سمعه منذ الطفولة من أفواه الداعين عليه "بالقرينة". أما البطاقة 3، فمحاولة تفسير طبيعة الداء الذي يسببه الفيروس التاجي، بتحديد دلالات كل حرف من الحروف المكونة للكلمة، وكأننا إزاء فواتح سورة قرآنية أو تجميع الأحرف الأولى من جمل... أما التعبير العددي، فمرتبط بالرقم الهاتفي الاستعجالي للشرطة، وهو في هذا المقام، رمز لردع كسر الحجر الصحي، وجزاء مستحق للخارج عن الضوابط.

إن السخرية في مقام الجد هذا، هي محاولة للتغلب على مخاوف الموت، فكثيراً "ما يواجه الإنسان مواقف الخوف والقلق والهلع بأن ينفجر ضاحكاً، وفي مثل هذه المواقف تظهر بوضوح أهمية كل العوامل الداخلية والخارجية. وذلك حينما يضحك الإنسان لمواجهة المواقف الخطيرة التي يتعرض لها، فإنه بلا شك إنما يحاول عن طريق الضحك أن يرفع من روحه المعنوية وأن يعمل على تقوية حظه من الشجاعة"<sup>7</sup>، لذا كان اللجوء تارة إلى التهوين من خطورة الداء، وإقرار شيوعه منذ القدم (القرينة لفظ معروف متداول منذ أزمان)، وتبين يسر التحصن منه (ملازمة البيت)، والاستخفاف به وبطبيعته كما ورد في العالم الافتراضي:

استعار الساخر لهذا الفيروس صفة الأنثى التي أوجب الشرع أن تقر في بيتها، ثم تساءل سؤال العارف الساخر المقر أنها بلا زوج (Coron) يصرفها عن اجتياز الأرض طولاً وعرضاً.



<sup>7</sup> زكريا إبراهيم، سيكولوجية الفكاهة والضحك، دار مصر للطباعة، مصر، د. ط، د. ت، ص 71.

والسخرية من الأوبئة في إبانها، قائم -كما أسلفنا- على التناقض، فحين عم الصمت واستشرى الخوف والرهاب، ملأت الضحكات الأرجاء؛ وحين فرض الحجر الصحي في جميع القارات وسرت العزلة في الواقع، صارت المشاركة الوجدانية في العالم الافتراضي عامة فانتشرت السخرية متجاوزة حدود الدول والثقافات والديانات.

## 2. السخرية من الوباء قبل فرض الحجر الصحي

بداية مارس 2019

ظهر الوباء بووهان الصينية في منتصف نونبر سنة تسع عشرة وألفين، وسرعان ما استشرى في الصين. وما إن اجتاز الحدود إلى أوروبا، وتسقلت العدوى إلى إيطاليا وإسبانيا المتاخمة للمغرب حتى كثرت الحديث عن الداء، وعن سهولة انتقاله إلى بلادنا، فكانت الرهبة والحيطه، والخوف والترقب، والتساؤل والإنكار. وما كان من الشرائح المجتمعية إلا أن ابتكرت مصلا مناعيا في العالم الافتراضي- وقد عز اللقاح في عالم الواقع- في شكل صور وبطاقات ورسوم ساخرة ومقاطع فيديو أسرع في الانتشار من الجرثوم نفسه. وكانت بواكر السخرية متجهة إلى معقل الوباء، وإلى الدول التي صدرته للمغرب. هكذا رميت الصين برشاش ساخر، بدءا بالمبالغة في التحذير من زيارتها، كما جاء في تغريدة أحدهم:



توسل الساخر بالنص الشرعي لإنتاج ضحك الإقصاء، فوظفه خارج سياقه الذي يحث على ضرورة طلب العلم مهما نأت الديار وشط المزار. فخلط السجلات المقامية كما خلط السجلات المقالية، إذ استعمل لفظ "الصين" في النص كناية عن البعد المكاني ووعورة المسالك ومخاطر الوجود والوهاد، أما عند المرسل، فالقصيدة حقيقية تعني البلد الموبوء الذي عُلق فيه طلب العلم من باب تقديم حفظ النفس على حفظ العقل في الكليات الشرعية الخمس، جلبا للمصلحة ودرءا للمفسدة. ثم إنه احتج بحكم عام على ظرف خاص، ذلك أننا حين "نطبق تعميما على حالات فردية لا يشملها التعميم على نحو صحيح، فنحن نرتكب إذًاك مغالطة العَرَض المباشر"<sup>8</sup>. فالصين تارة في أعين الساخرين بؤرة الموت، وتارة وكر التقليد الصناعي للمنتوجات كما جاء عند أحدهم:

إن السخرية هنا مزدوجة: سخرية من الصين التي وقر في الضمير الجمعي سرعة تقدم إنتاجها الصناعي مع قلة الجودة وغزوها للأسواق العالمية؛ وسخرية من الذات التي ارتضت لنفسها موتا بجرثوم صيني مصطنع، ولسان حالها يردد بيتي المتنبي:

إذا غامرت في شرف مَروم فلا تَقْتَع بما دون النُّجوم

<sup>8</sup> ينظر: عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، ط.1، 2007، ص 187.



## جائحة كورونا والسخرية الرقمية بالمغرب

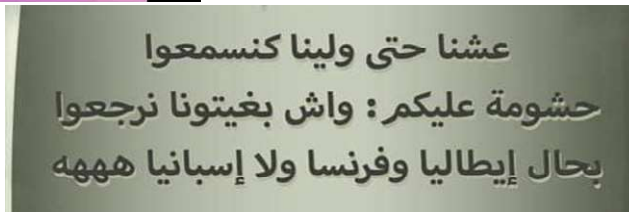
فطعمُ الموت في أمر صَغير كطعمُ الموت في أمر عَظيم<sup>9</sup>  
وتجدر الإشارة أنه مع بداية ظهور الوباء، تضاربت الأقوال والأبحاث حول أصله وسببه، فعزاه بعض رواد العالم الرقمي، إلى ما عليه يقتات الصينيون من غرائب الطعام:



وكثيرا ما سخر المغاربة من طعام الصينيين الغريب العجيب، شأنه شأن طعام الأغيار عموما، وهو ما يعرف بالضحك المُعْجَب الناجم عن السخرية الإثنية من مجتمع له ثقافة مختلفة تماما، فعندما "تسخر الجماعة الواحدة من غيرها من الجماعات (باعتبارها مغايرة لها)، فإنها تحافظ بهذه السخرية نفسها على صميم كيانها الاجتماعي"<sup>10</sup>.



وليست الصين وحدها مصدر السخرية الإثنية المغربية، بل سخر رواد المواقع التواصلية من الدول الأوربية المتقدمة المصدرة للوباء، والتي تعج بالجاليات المغربية، خاصة إيطاليا وفرنسا وإسبانيا:



<sup>9</sup> عبد الرحمن البرقوقي، شرح ديوان المتنبي، مطبعة السعادة، مصر، ط. 1، د. ت، 4/ 245.

<sup>10</sup> سيكولوجية الفكاهة والضحك، ص 42.



## جائحة كورونا والسخرية الرقمية بالمغرب

وسم موربي Morier هذا النوع من السخرية بسخرية قلب الموقف الواقعي أو الحقيقي، لاعتمادها قلب مواقع الدول المتقدمة (إيطاليا)، ودول العالم الثالث (المغرب)، فقبل انتشار الوباء، كانت إيطاليا تفرض على المغاربة تأشيرة الدخول، وسرعان ما استبدلت المواقع بتغير المواقف، فأغلقت الحدود المغربية البرية والجوية والبحرية في منتصف مارس 2020 في وجه الإيطاليين وغيرهم (البطاقة 8) لاعتبارات وقائية تتغى تطويق الداء، غير أن من رواد مواقع التواصل الرقمي من أوغل في السخرية وصير السبب اقتصاديا، فقلب الأدوار واستقطب الإيطاليين مقابل عقدة بئمن مرتفع (البطاقة 9).

إن السخرية من الصين وإيطاليا وإسبانيا ربت قبل دخول الداء إلى المغرب (البطاقة 10)، حين استشعر المغربي السلامة والأمان المفقودين في تلك الدول التي طالما كانت للكثيرين الفردوس المفقود والحلم المنشود؛ فلما بان ضعف تلك الدول، نظر إليها بعين الاستعلاء الذي تفسره نظرية التفوق عند أفلاطون Platon وأرسطو Aristot، وعند توماس هوبز Thomas Hobbes الذي رأى الضحك رد فعل إزاء إدراك مفاجئ لما صرنا إليه من تقوق مقابل عجز الآخرين، أو مقارنة بعجزنا السابق. لذا، فما إن تهددت المغرب مخاطر الداء، وصار كباقي دول العالم شاهدا على حصاد أرواح أبنائه، تراجعت وثيرة السخرية من الدول المتقدمة وخفت حدتها، ووجهت الأصابع إلى الذات تشير إلى مواطن الداء الحقيقي، فكان النقد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وكان إبراز الاختلالات.

### 3. السخرية الرقمية زمن الحجر الصحي بالمغرب

(مارس 2020 \_ يونيو 2020):

فرض المغرب الحجر الصحي في العشرين من مارس 2020، لتفادي انتشار الداء، فانبرى الفايسبوكيون يقتنصون الأحداث تباعا، ويبسطونها في قالب هزلي وطابع نقدي رغم ما قامت به الدولة من إجراءات سديدة، وقرارات رشيدة، وتدابير وقائية؛ وهكذا اكتسبت السخرية وظائف تاريخية، ونفسية، ونقدية لمظاهر نبسطها كالتالي:

1.3. السخرية من إمكانات الدولة في مواجهة الوباء: سخر المغاربة من هشاشة البنية التحتية في الوطن، ومن التدابير المتخذة للسيطرة على الجائحة، وذلك في وقت خيم فيه الخوف وتساقط المصابون في دول لها من الإمكانيات ما فاق المغرب بكثير:



إن النظرية المؤطرة للسخرية هنا، أو لضحك السلب هي نظرية التنافر عند مورريل Morreal، ومفادها "أننا نعيش في عالم اعتدنا فيه توقع أطر فكرية وبنى ذهنية بين الأشياء وخصائصها وبين الأحداث، وأننا نضحك عندما





## جائحة كورونا والسخرية الرقمية بالمغرب

المظهر

أمريكا والصين وألمانيا  
تبحث عن الدواء..  
والمغاربة كيقبلوا على  
المقدم

قصة  
نهية له نحن  
(13).

نعائش أو نجرب شيئا لا يتلاءم مع هذه الأطر"<sup>11</sup>. فكيف يتواءم  
البخس، الذائع بين العامة، والمتعدد في استعمالاته،  
وصلاحياته(البطاقة 11)، مع داء قهر خاصة الخاصة، داء لم  
غير حفارة القبور(البطاقة 12) والوصفات والأمصال(البطاقة  
استهدفت السخرية الدولة العاجزة عن اللحاق بالركب العلمي العالمي ومواكبة مساره، والقاصرة تبعا لذلك عن  
إيجاد علاج أو الإسهام فيه. كما استهدفت الشعب الذي لجأ إلى علاجات مقترحة جاهزة من قبيل الكي والإبر  
الوركية كما في البطاقتين 14 و15:

#الفيروس يعتمد على خطة  
ذكية جدا. يبدأ أولا القضاء  
على الصين وأوروبا وأمريكا  
لأنهم من سيخترعون لقاح له!  
من بعد يشوف خدمتو مع  
جماعة غرغر بالملح والخل  
وكول البصل والثوم 🤢🤮



لقد اضطلعت السخرية من الذات بوظيفة إنكار الواقع، وكأن الساخر بفعله ذاك، يسبق غيره في القول، ويدفع  
عن الذات نظرة الآخر الزارية ولسان حاله يقول: "إنني أعرف عيوبي وأستطيع السخرية منها أحسن مما  
تستطيعون أنتم، إن الهازل يستبق نقد الآخرين ويحبطه"<sup>12</sup>، وفي ذلك تخفيف نفسي عن ذات مكلومة تتطلع للرقى  
إلى مصاف النموذج المأمول في جوانبه المختلفة...

وتستمر المقارنة، مقارنة فعل مطلوب (بحث أمريكا والصين وألمانيا وبريطانيا عن الدواء)، وفعل بديل (بحث  
المغاربة عن عون السلطة)، ذلك أن الحكومة اشترطت في الخروج الاستثنائي التوافر على رخصة مسلمة من  
السلطة (المقدم). ولما كثرت طلبات الترخيص، وما لازمها من تحرر وضبط، أصبح المقدم في بعض المناطق أخفى من  
ديب النمل، وكالعنقاء تسمع بها ولا ترى كما نفهم من البطاقة التالية:

أو هو الأسد المهاب الذي تخشى سطوته (البطاقة 17)، أو المستأسد الذي تتقى صولته، يهابه  
الكل صغارا وكبارا، رجالا(البطاقة 18) ونساء(البطاقة 19):



<sup>11</sup> Morreall, J, 1989, "Enjoying Incongruity", in *Humor International journal of humor Research*, Publisher. De Gruyter Mouton, v. 2: 1p.p.1-18

<sup>12</sup> Christopher P, W, 1979, *Jokes, Form, Content, Use, and Function*, Ed. illustrée, European Association of Experimental Social Psychology by Academic Press, p. 142.



البطاقة 17



البطاقة 18

تفضي السخرية من عون السلطة لنوعين من الضحك متلازمين: ضحك الشماتة وضحك الانتصار؛ فكلما نجا المواطن من رقابة السلطة، وجال دونما ترخيص، استشر اطمئنانا مطبوعا بابتسامه أو بضحك انتصار أو شماتة من مسؤول غافل.

أما السخرية في هذا المقام، فناجمة عن التنافر بين الكائن وما يجب أن يكون، مما يفضي للضحك، فلا "شيء منتج للضحك أكثر من تفاوت مفاجئ بين ما نتوقعه وما نراه"<sup>13</sup>، إذ المتوقع مع الحجر، توفير متطلبات الشعب من وثائق إدارية تأتهم ولا يأتونها درءا للاختلاط وليس العكس. ومن التنافر كذلك الانتقال المفاجئ من التفكير في الداء الذي يحصد الآلاف يوميا في العالم، إلى التفكير في همّ الترخيص أو سبل التخلص من الرقابة متى فُقد. فالأمر يثير ضحك سلب يعزى لانفعال يبين حجم المأساة الحقيقية التي يعيشها الشعب. كما أن الضحك أيضا كما يراه إيمانويل كانط Immanuel Kant "هو انفعال ينشأ من تحول مفاجئ لتوقع متوتر يؤدي إلى لا شيء"<sup>14</sup>.

2.3. النقد الاجتماعي الساخر: أعلنت حالة الطوارئ الصحية بالمغرب في العشرين من مارس إلى العشرين من ماي 2020، قبل أن تمدد للمرة الأولى بسائر أرجاء المغرب إلى غاية العاشر من يونيو، ثم إلى العاشر من يوليو، غير أن فترة التمديد الأخيرة هذه، عرفت تخفيفا تدريجيا لتدابير الحجر الصحي المراعية للوضعية الوبائية في مختلف الجهات والعمالات. وخلال هذه الفترة، لامست السخرية تفاصيل الحياة غير المسبوقة، من المبالغة في التنظيف بالمطهرات المألوفة والمصنوعة، وطول مدة الحجر، والسخرية من هشاشة القطاعات ومن سياسة الدولة في تدبير الشأن العام... لقد أضحت السخرية العين الفاحصة الناقدة لتفاصيل أيام الحجر ما ظهر منها وما بطن:

1.2.3. السخرية من طبيعة الإجراءات الوقائية: انتشرت الإعلانات التحسيسية -في الشوارع وفي الإعلام المرئي والمسموع والمقروء- تدعو إلى ضرورة التعقيم والتطهير بشكل مستمر، مشهرة وسائله وموضحة كفاءته ومحددة زمنه، مما أسفر عن تعليقات ساخرة، وصور مضحكة: تحمل البطاقتان (20 و 21) مبالغة L'hyperbole، إن على مستوى تعميم فعل الصناعة العجيبة الغريبة على كافة المغاربة (البطاقة 20)، أو على مستوى التنظيف المكثف

إلى حسيتو بمداق  
السندويتشات والطاقوس  
والشوارمة تبدل  
متخلعوش راه غير ولاو  
تيفسلو بديهم هاد الأيام 🤪

<sup>13</sup> Morreall, J, 1983, *Taking Laughter Seriously*, Albany, NY, United States: State University of New York Press, p.p. 15-16.

<sup>14</sup> Kant, I, 1952, *Critique of judgment*, trans. James Greed Meredith. Oxford: Clarendon Press, p. 223.

(البطاقة 21)، وفي الحالتين خرق لقاعدة الكيف الكلاسيكية، إحدى قواعد الحوار التي يؤدي خرقها لتوليد الضحك<sup>15</sup>، وتحقيق سخرية المواقف، ذلك أن النتائج أفضع من الأسباب، والدواء أفتك من الداء، والفعل أقرب إلى الرعونة والحمق منه إلى التعقل والرشاد، والمصير أدهى مما عناه المثل: كالمستجير من الرمضاء بالنار: اختراع فيروس بدل الدواء (البطاقة 20)، وفقد الأصابع بدل حمايتها (البطاقة 21).

هذا، وقد استغل الفايروسكيون التشديد على التطهير الوقائي لانتقاد وضع المطاعم التي تقل فيها شروط النظافة عادة، في سخرية قلب الموقف (البطاقة 22)، حيث جعل الساخر اتساخ اليدين هو الوضع الاعتيادي المؤلف الذي اطمأن له العامة، ونظافتها وضع عارض أثار قلق الرواد، مقدما حجة حق لها أن تقلب الخوف هلعاً؛ وتلك مغالطة منطقية من نوع السبب الزائف، إذ تُرسخ "عادة التوقع فتحول علاقة "الارتباط" Corrélation إلى سببية، فكلما ارتبط حدثان معا في الزمان والمكان كان ذلك دليلا عنده أن أحدهما سبب Cause للآخر، وكلما تعاقب حدثان كان سابقهما سببا للآخر<sup>16</sup>.

والكمامة من التدابير الوقائية التي شغلت حيزا كبيرا في مواقع التواصل الاجتماعي، فكانت محط تندر ومبعث سخرية، إذ اختيرت لها بدائل نباتية وحيوانية ولدنية، وعُددت أشكالها وألوانها وفق الثقافات والمناسبات، وأسندت لها وظيفة الوقاية من السجن إلى جانب الوقاية من المرض:



تحمل الكمامة في أصل استعمالها اللغوي ما يجعل لها دلالة ساخرة حين تعزى للإنسان، فهي ما يجعل على أنف الحيوان وفمه اتقاء الذباب، أو تجنباً للعض والأكل. أما في البطاقة السالفة، فلها استعمال يحجب الفم دون غيره من الجوارح، ولها وظيفة كم اللسان عن الكلام وقمع حرية التعبير، وفي ذلك سخرية لفظية قائمة على قلب المعنى Antiphrase والتصريح بغير المقصود، إذ المعنى الحرفي الظاهر هو طلب كم الفم خوفاً على الشخص وطلباً لنجاته من المرض، والمعنى المضمهر هو المطالبة بكم فمه طلباً لنجاته من العقاب.

2.2.3. السخرية من قلة وعي المغاربة وخرقهم الحجر الصحي: لقد وضع الحجر الصحي اليد على آفات للمجتمع، وعلى رأسها ما يزرع تحته من أمية ثقافية؛ ففي الوقت الذي التزمت فيه فئة بالحجر اقتناعاً، تملصت أخرى لأسباب مختلفة رغم

<sup>15</sup>Grice, H, P,1975, "Logique and conversation" in: Cole, P. and J. Morgan, *Syntax and Semantics, v3, Speech Acts*, New York: Academic, p. p. 41-52.

<sup>16</sup> المغالطات المنطقية، ص 135.



معابيتها المصابين يذوون كما يذوي القضيب من الرن د. والبطاقة الموالية تلخص الوضع: رغم جهود الجماعات المحلية ورجال السلطة لضمان سيرورة الحجر الصحي، إلا أن التحجر في الفكر الشعبي ما له من رادع، فما زالت مشاهد التقارب بادية، ومواقف الاكتظاظ متكررة:



البطاقة 26



البطاقة 25

تجلي البطاقة 25 حقيقة تجمهر سائقي سيارات الأجرة -قبل فترة الوباء- مطالبين ببعض حقوقهم، غير أن صاحبها وجهها وجهة ساخرة من مظاهر التجمعات المكرورة زمن الحجر لأسباب واهية أو لا معقولة، كما يشي بذلك التعليق الدال على الرعونة والنوك، ذلك أن مقصد الجماعة مشروع (التشديد على رفض خرق الحجر الصحي)، والسبيل إليه خاطئ. وكذلك الحمق الذي يعد "الغلط في الوسيلة والطريق إلى المطلوب مع صحة المقصود"<sup>17</sup>. فالسخرية في هذا السياق تستهدف العامة والخاصة، إذ تتغني نقد سلوك جماعي أرعن، واستخفاف عام، كما تبتغي سخرية إثنية جهوية من البركانيين الذين وصموا في الفكر النمطي المغربي بالبلادة والغباء<sup>18</sup>. ومازالت أفعال النوكي والمغفلين منتشرة بين المغاربة (البطاقة 26)، حيث القصد تقاسم فرح بسلامة شخص، بينما السبيل فيه هلاك الكل، ومن تم الوقوع في مغالطة منطقية من نوع: "أنت أيضا تفعل ذلك"، ومفادها أن

<sup>17</sup>، ابن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، دار الآثار للنشر والتوزيع، ط1، 2003، ص12.

<sup>18</sup> يرى كريستي دافيس Christie Davies، أن الفئة المتندر ببلادها وغيابها هي ساكنة الهوامش، أو المدن الصغرى المتاخمة للكبرى، شأن مدينة بركان المحادية لوجدة في الشمال الشرقي المغربي. ينظر:

David, C, 1990, *Ethnic Humor around the world, A comparative Analysis*, Bloomington, IN and Indianapolis, IN: Indiana University Press, p.40.

ذو العقل يبقى في الشرير بيته  
وأخو الجهالة في الشوارع يرتع  
\_ أبو الحجر الصحي \_

## البطاقة 27

المغالط يظن "أنه قد تم له بذلك تفنيد الخصم ورد سهمه إلى نحره، وكأن الخطأ يشرع الخطأ"<sup>19</sup>. ولغفلة هؤلاء، صنفوا ضمن زمرة الجهلة الذين صدق فيهم القول:

يعد توقيع المبدع باسم أبي الحجر الصحي- المحاكي لاسم الشاعر العباسي أبي الطيب المتنبي- نصا موازيا Paratexte كما حدده جنيت<sup>20</sup>. كما أن بيت أبي الحجر يتفاعل هزليا مع نص أحمد بن الحسين القائل:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم<sup>21</sup>

فبين النصين تناغم إيقاعي، وتواز صوتي، وانزياح دلالي مما أسفر عن المحاكاة الساخرة أو الباروديا La parodie التي عدّها جيرار جنيت في كتابه<sup>22</sup> Palimpsestes وجهها من أوجه التناس، إذ نقلت السجل النبيل إلى آخر مبتذل، وحققت بذلك السخرية من فئة رآها البعض جاهلة انتفى حجاها وغاب عقلها، مما جعلها تندرج ضمن الذين لا يعقلون كما جاء في التدوينة التالية:

البطاقة

28



تفيد البطاقة بدل التصريح تعريضا بحيوانية المزعزين للأمن العام، مما استوجب تأويلا للسخرية، "فالقول إن السخرية شكل من أشكال التكلم (فعل كلام غير مباشر)، يتأسس على انفصال بين القضية المعبر عنها، أي الحرفية والقضية المقصودة والاستلزامية، هو تأكيد على أن الغموض يعتبر ظاهرة مركزية فيها"<sup>23</sup>، وإذا كان الأطباء يعالجون الذين يعقلون (ارتباط العقل بالوعي الصحي)، فإن البيطرة يعالجون العجماوات غير العاقلة، مما يفضي إلى اعتبار الخارجين عن القانون حيوانات، كما سنوضح:

<sup>19</sup> المغالطات المنطقية، ص 77.

<sup>20</sup> Genette, G, 1988, *Seuils*, Paris, Ed du Seuil, collection. Poétique, P:17.

<sup>21</sup> شرح ديوان المتنبي، 4/ 251.

<sup>22</sup> Genette, G, 1982, *Palimpsestes*, *La Littérature au second degré*, Paris, Ed du Seuil, collection. Poétique, p. 19.

<sup>23</sup> Banguet, M-P, "l'ironie, essai d'analyse pragmatique", in: *linguistique et sémiologie*, n 2, p. 66.

## صفات الفئة الثانية

مؤخّرة  
تحتاج كثير اقناع  
لامبالية  
لا تعقل  
تحتاج بيطريا  
صفات حيوانية



حيوانات

## صفات الفئة الأولى

مقدّمة  
تستجيب  
واعية بالوضع الصحي الراهن  
تعقل  
يتعامل معها طبيب  
صفات إنسانية



بشر

اضطلعت السخرية بوظيفة نقد المجتمع، أولا قصد تحقيق "التطهير الجماعي للانفعالات السلبية المتراكمة"<sup>24</sup>، بفعل تصرفات جماعية متعاقبة مشينة، وثانيا لعقاب سلمي للخارجين عن القانون، إذ "الضحك هو قبل كل شيء تصحيح وإصلاح"<sup>25</sup>.

3.3. السخرية من هشاشة القطاع الصحي: إن أول قطاع اتجهت إليه الأنظار لمواجهة هذه الجائحة هو القطاع الصحي، غير أن واقعه المؤلم كشف العلل وشخص العجز، إن على مستوى قلة الأطر الطبية أو شح الدواء أو ضحالة الطاقة الاستيعابية للمستشفيات المستقبلية للمصابين<sup>26</sup>، مما حدا بالمغاربة أن ينتقدوا الوضع بطريقتهم كما جاء في البطاقة:

لبطاق  
ة 29

واحد صاحبي قلت ليه راه كاين  
غا 250 سرير للإنعاش  
فالمغرب وهو يقوليا الواحد  
هو لي يمرض مع اللولين  
لايتحشا ليه ومايلقا فين يتداوا

يحمل خبر المتكلم سخرية من هشاشة القطاع الصحي تحققت بالتلطيف litote، أي المبالغة في تقدير ضحالة الطاقة الاستيعابية للإنعاش الطبي ومحدوديتها، وقد رد المخاطب على السخرية بمثملا، مبطنا حتمية تفشي المرض ومعلنا عن حل يراه أمثل لضمان رعاية طبية. إن هذا التسويغ قائم على مغالطة الإحراج الزائف، أو القسمة الثنائية الزائفة، ذلك أن المخاطب بنى حجته على "افتراض أن هناك خيارين فقط أو نتيجتين ممكنتين لا

<sup>24</sup> شاكر عبد الحميد، الفكاهة والضحك، رؤية جديدة، عالم المعرفة، ع. 289، سنة 2003، ص 220.

<sup>25</sup> هنري برغسون، الضحك، ترجمة علي مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 2، 2007، ص 127.

<sup>26</sup> من النصفة القول إن المغرب بدل جهودا في تشييد مستشفيات تناسب الأزمة، ورفع عدد المستشفيات المستقبلية، وعدد التحاليل الطبية اليومية.

أكثر، بينما هناك خيارات أو نتائج أخرى<sup>27</sup>؛ كما بناه على مغالطة التعميم<sup>28</sup> مشيدا على أساس خاطئ صرحا من الأوهام.

وإلى جانب شح فضاءات إسعاف المرضى، مشكل العلاج، وضعف رعاية البحث العلمي:



توضح الصورة مواجهة بين قوتين غير متكافئتين تفضيان إلى نوعين من السخرية: أولاهما سخرية المواقف وقلب المواقف، وتصوير الضعيف قويا والقوي ضعيفا، وذلك من خلال الهيئة وتعبير الوجه، والامتداد الطولي للمرهم، وثبات وقفته وكأنه سد يمنع توغل الفيروس المتحرك؛ والحال أن الخطاب التحذيري الصادر عن المرهم/ وزارة الصحة، أليق بالداء نفسه؛ وثانيهما السخرية اللفظية القائمة على قلب المعنى، إذ الخطاب: "حضي راسك، راه المغرب هذا"، يحتاج تأويله استحضار الجانب التداولي والكفاية الإيديولوجية بمعارف مشتركة بين المتخاطبين. فانتقال الخطاب من حقيقة تقريرية إلى سخرية، رهين بالوقوف على مؤهلات البلد المتواضعة التي يفترض فيها مضاعفة الجهود، بدل التحدي والمواجهة.

3. 4. النقد الساخر لواقع قطاع التعليم: أعلنت الوزارة المعنية تعليق الدراسة بجميع أسلاك التعليم بالمغرب منذ السادس عشر من مارس 2020 إلى حين استتباب الأمن الصحي؛ ورغم انخراط الأطر التربوية والإدارية في التدابير البيداغوجية بجدية لنهج نظام التعليم عن بعد، إلا أن ما أمكن توفيره من موارد رقمية ووسائط سمعية وبصرية، وضع اليد على جراح أدمت الجسد التعليمي، في المستوى الكمي، والكيفي، وتكوين الأطر... والهاتف المحمول من بين وسائل التواصل بين طرفي العملية التعليمية، تباينت وظيفته بين الأمس واليوم: تغيرت وظائف الأداة الواحدة حقق سخرية قلب المواقف، فكيف لداء الأمس أن يصير دواء اليوم؟ فإن تحقق الأمر على المستوى البلاغي بالطباق بين "حط" و"هز"، فإن تحقيقه على المستوى الواقعي رهين بسياقات وجوانب مختلفة.

البطاقة 31



<sup>27</sup> مرجع سابق، المغالطات المنطقية، ص 129.

<sup>28</sup> نفسه، ص 51.

5.3. النقد السياسي: انتقدت في بلادنا سياسات الدولة في تدبير ملف الجائحة، رغم كونها سباقة إلى إجراءات أمنية صارمة ناجعة لحصر انتشار الوباء. ولتقتضيات الضرورة، نكتفي بإيراد ثلاثة نماذج نقدية: أولها تبعية الحكومة المغربية للحكومة الفرنسية في اتخاذ تدابير وقائية جراء جائحة كورونا، كما في الصورة:

البطاق

ة 31



إن السخرية في المنشور مركبة: فهي تارة من التبعية للحكومة الفرنسية دون مراعاة لخصوصيات التابع والمتبوع، وتارة أخرى من تأخر المغرب عن الركب الحضاري التعليمي. تمت ترجمة الوضع من خلال مضحك الأشكال والحركات والطباع والمواقف كما حدده هنري برغسون Heneri Bergson<sup>29</sup>، حيث جسّد المغرب في شخصية مستر بين: Mister Bean بشكله المضحك، وحركاته الآلية غير المتسقة، وطبعه الغافل وهو يأتي الأمور دون تحسب العواقب، وموقف ضعفه وهو يسترق النظر للجوار ناقلا كل كبيرة وصغيرة. فهو تارة يقتفي أثر فرنسا المبادرة السباقة الفعالة (توظيف زمن الماضي للإجراءات الفرنسية: علقت الدراسة، والمستقبل للفعل المغربي: ستعلق الدراسة)، وتارة يعدّ -كما فعلت فرنسا- بديل قريب (تطابق الزمن المستقبل بين البلدين: سيدرسون عن بعد)، غير أن التطابق وإن تحقق بالصيغة الصرفية الدالة على المستقبل القريب، إلا أنه استحال بالنظر إلى مؤهلات البلدين، مما جعل وعد المتبوع محققا، ووعد التابع بعيد المنال. واستهدف النموذج النقدي الثاني مؤسسة من مؤسسات الدولة، وسخر من المؤهل العلمي لمنتخبي الأمة وممثلي الشعب:

البطا

قة

33

إلغاء الامتحان الإشهادي  
بالابتدائي سيحرم عدد من  
الكفاءات من الترشح للبرلمان  
والجماعات خلال الانتخابات  
القادمة...  
قرار متسرع.

سخر الفاييسبوكيون من مؤهلات رجالات مؤسسة هامة يمثلون الشعب محليا ووطنيا، منطلقين من مقدمة أولى: الامتحان الإشهادي الابتدائي ملغى، إلى مقدمة ثانية: إلغاء الامتحان يحرم أغلب الكفاءات من الترشح للبرلمان

<sup>29</sup> ينظر كتاب الضحك، فعلى امتداده حددت أشكال الهزل هاته.



والجماعات. فتكون النتيجة حسب المنطق الأرسطي أن المؤهل العلمي لأغلب البرلمانيين وأعضاء الجماعة هو الشهادة الابتدائية.

ومن المغالطات الحجاجية الساخرة القائمة على خرق قاعدة الكيف الكلاسيكية، مغالطة الألفاظ المشحونة أو المفخخة<sup>30</sup>، إذ وظف لفظ الكفاءات يراد بها العكس.

والنموذج الثالث من نماذج النقد السياسي، متعلق بالتدابير الإجرائية الحكومية استعدادا لرفع الحجر الصحي: وضع الكاريكاتور اليد على معاناة فئات اجتماعية تعيش على الكفاف، فكانت لها فترة الحجر الصحي الضارة النافعة التي بها تأجلت مختلف النفقات، وخلفها انسدت جملة مفارقات باعثة على السخرية:

-المفارقة بين الحال والمقال؛ حيث الخطاب الدال على استعداد الحكومة لرفع الحجر الصحي والمستلزم إحساسا مصاحبا بنشوة الانعتاق، يجافي حال شرائح مجتمعية تشي ملامحها بالقهر والتعاسة؛  
-المفارقة بين أحوال الشعب (ملاحم التعاسة)، وحال الحكومة (ضحك إقصاء...):



البطاق

ة 34

-المفارقة بين خطاب صريح: "الحكومة تستعد لرفع الحجر الصحي"، الذي يقتضي تديجا ومراعاة الظروف الاجتماعية، وآخر مضمهر تخفيه الصورة، ومفاده أن الدولة -كما يراها صاحب البطاقة- تستعد بسرعة لقصم الظهور؛

-المفارقة اللغوية المفضية للسخرية اللفظية، أي التصريح بعكس المقصود المتوسل إليه باللعب اللغوي والجناس المحرف<sup>31</sup>، إذ الظاهر رفع الحجر (بتسكين الجيم) وفك العزلة، بينما الخفي إزالة الدعامة ورفع الحجر (بفتح الجيم) والسماح بهويّ الديون والمصاريف المتراكمة المتراكمة؛ فإدراك الهزلي في هذا الخطاب يتم على مرحلتين: "الأولى تتضمن إدراك الفرد للعنصر أو العناصر المتنافرة، والثانية تمكنه من الكشف عن تفسير العناصر المتنافرة أو تعليلها"<sup>32</sup>.

6.3. السخرية في القطاع الاقتصادي: لم تستهدف السخرية الرقمية القطاع الاقتصادي بقدر ما استهدفت قطاعي التعليم والصحة، ولعل الأمر راجع لقبول رواد الفضاء الأزرق قرار الدولة لتقديم سلامة المواطن على اقتصاد البلاد، وتقبلهم الإجراءات الاحترازية رغم انعكاساتها السلبية على الاقتصاد الوطني والدولي، وتبعاتها على القطاع

<sup>30</sup> ينظر المغالطات المنطقية، ص 124.

<sup>31</sup> علي الجندي، فن الجناس، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد بمصر، د. ط، د. ت، ص 87.

<sup>32</sup> Deckers, L, and Buttram. R, 1990, "Humor as Response to Incongruities Within Or between Schemata", in: *Humor*, 1\_3, p. 55.

المهمي غير المهيكل. وغالبا ما توجه النقد لفضح إخلال أرباب المعامل والشركات بتدابير الوقاية وشروط السلامة كما هو مبين في البطاقة:

البطاقة  
35



انطلقت سخرية الموقف من التفاوت بين السبب البسيط (ثمرة التوت)، والنتيجة المهلكة (الموت) مع إضمار العلاقة بين السبب والنتيجة، فالخطاب ثنائي الدلالة مما استدعى تأويل السخرية داخل سياقها، إذ كنى الساخر بالثمرة معرضا عن ذكر معمل تلفيف التوت الذي -لتهاونه في اتخاذ تدابير الوقاية- تسبب في انتشار العدوى في صفوف العاملين مما هدد حياتهم. وقد استدل الساخر بقصة إخراج آدم وحواء من الجنة لاقتراهما من الشجرة المحظورة لإقناع المتلقي بقدرة ثمرة على قلب الأحوال، وتسببها في نهاية الحياة كما كانت سببا في استهلاكها. وأسهم الرسامون الكاريكاتوريون في تصوير تضرر الاقتصاد جراء الجائحة، كما في الرسوم التالية:

البطاقة  
38



البطاقة  
37



البطاقة  
36



اشتركت الرسوم الثلاثة في مكون أيقوني واحد هو فيروس كورونا الذي اتخذ الشكل ذاته، وهو إن كان في الرسمين الأول والثالث فاعلا في حد ذاته، فإنه في الرسم الأوسط موجه لاستهداف قطاعات اقتصادية من قبل جهة خفية جسدها يد افتعلت الداء وصوبته لإسقاط القطاعات الحيوية في البلاد. فالقطاع الجوي يئن من تبعات الداء كما تبرزه ملامح الطائرة العاجزة عن الإقلاع (البطاقة 38). أما عجلة الاقتصاد، فنخرها الداء وشل حركتها (البطاقة 36) مما يستدعي من الدولة تحديات جساما وإنعاش قطاعات اقتصادية كثيرة بعد انجلاء الوباء بحول الله. وإذا كانت قطاعات قد تضررت، وهياكل قد انحسرت، ووحدات تصنيع وإنتاج قد احتضرت، ونقط بيع وتوزيع تراجعت، فإنه على العكس تماما، ازدهت بالجائحة جهات أخرى:

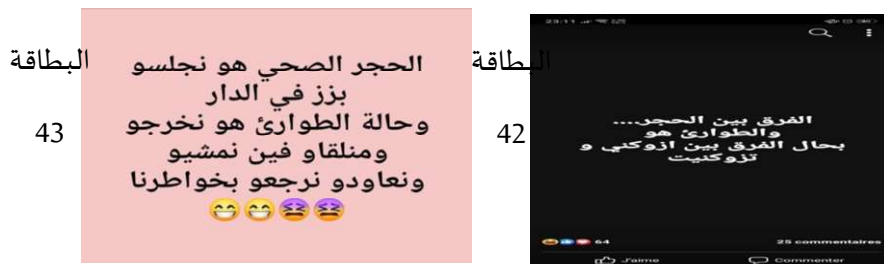


استفادت شركات من الجائحة، واغتني أربابها جراء ارتفاع طلب منتجاتها في هذه الظرفية، واستغلوا الوضع لاستنزاف جيوب المواطنين كما هو شأن مؤسسات صحية وتعليمية واقتصادية ما فتئ أربابها يبتزون المواطن. وقد حكى كاريكاتور البطاقة 39 هذا الحال، موكنا على المكون اللساني الذي يشير لسوء نوايا أرباب المصحات الخاصة المستقطبة للمصابين بداء كوفيد 19، ولسان حالهم يقول: مصائب قوم عند قوم فوائد، وهو القول الذي حاكاه الرسام الكاريكاتوري محاكاة ساخرة بعنوان رسمه الساخر: "فيروس قوم عند قوم فوائد". ثم إنه الشاعر الذي سرى في البطاقتين 41 و42، وإن جاء على لسان رب السوق التجارية، ورب المؤسسة التعليمية بلفظ مختلف.

#### 4. السخرية خلال فترة رفع الحجر الصحي (يونيو 2020)

أعلنت الحكومة المغربية -في العاشر من يونيو المنصرم- بداية رفع الحجر الصحي تدريجيا عن المناطق، ولم يتم التخفيف الكامل إلا في الرابع والعشرين من الشهر ذاته<sup>33</sup> مع الإبقاء على حالة الطوارئ العامة. وقد راعى التخفيف تطور الحالة الوبائية في الأقاليم والعمالات، مما أسفر عن تصنيف المناطق إلى منطقة التخفيف رقم 1 التي حظيت بامتيازات، ومنطقة التخفيف رقم 2 التي تعيش ظروفًا أقرب إلى الحجر، فكان هذا التقسيم سببا في ظهور سخرية جهوية هي أبعد من أن تكون إثنية.

1.4. السخرية من تدبير الجائحة بإعلان حالة الطوارئ: لم يستشعر المغاربة اختلافا داليا بين حالة الطوارئ والحجر الصحي، فعبروا ساخرين عن خيبة أفق انتظارهم كما يلي:



حملت البطاقة 42 ترادفا بين الحجر والطوارئ، فهما وجهان لعملة واحدة، شأنهما شأن مشكلة نبات الزعتر لمثيله؛ وأكدت البطاقة 43 الأمر نفسه، ذلك أن حالة الطوارئ اقتضت إغلاق المرافق العامة التي دأب الناس على

<sup>33</sup> استثنيت من القرار عمالات وأقاليم: طنجة- أصيلة، والعرائش، والقنيطرة، ومراكش.

التردد عليها، وأبقت على مرافق خاصة مع فرض التدابير الوقائية، ففي كلتا الحالتين تضيق حريته التي حقق بالضحك من افتقادها توازنا نفسيا، ذلك أن "المجتمع ينتقم عن طريق الضحك للحريات التي أخذت منه"<sup>34</sup>.

4.2. السخرية المتبادلة بين المناطق المتباينة وبائيا:

1.2.4. سخرية الذات (المنطقة 1) من الآخر (المنطقة 2): لم تبلغ السخرية هنا درجة الإيلام، ولم تنزع منزعا إثنيا بقدر ما تعد رسالة توعوية جهوية لمن لم يشملهم تخفيف الحجر، وبها حمل الأول الآخر مسؤولية استمرار الحجر، معبرين عن تحررهم من أزمة، وخروجهم من ضيق إلى سعة:



البطاقة  
45

البطاقة  
44

فاخر أبناء المنطقة 1 المنطقة المقابلة، متفاضلين بالمباح المتاح للذات، المقطوع الممنوع عن الآخر (البطاقة 44)، مما قد يحقق لذة الانتصار ومتعة التخلص، فالضحك قد "ينتج عن متعة سمو الذات التي نشعر بها أثناء إذلال الآخرين وإخزائهم"<sup>35</sup>، غير أن الشعور بالسمو لم يذهب بهم مذهب السداة المتشفين، لاختلاطه بالتشاكل الوجداني (الطعام اللي مشاركين)، وبالإيمان بعدم دوام الحال (البطاقة 45)، فقد يقلب الوضع ويصير المستدرك ناجحا والناجح مستدركا.



البطاقة  
46

2.2.4. سخرية الآخر (المنطقة 2)، من الذات (المنطقة 1): يذكرنا التساخر بين أبناء المناطق بنقائص جرير والفرزدق والأخطل، غير أن الأول أقرب إلى الدعابة والهزل، بينما الآخر أليق بالتهاجي المقذع. وقد رد هؤلاء على

<sup>34</sup> الضحك، ص. 127.

<sup>35</sup> الضحك في الأدب الأندلسي، ط. 2، ص. 29.

## جائحة كورونا والسخرية الرقمية بالمغرب

غرائمهم بالمثل من باب التفاعل الهزلي، مستخفين بمؤهلاتهم السياحية، ومقوماتهم التجهيزية، ومشاريعهم التنموية، مبطنين تفوقا في المجالات المذكورة، ومومئين إلى حاجة المنطقة المخفف عنها الحجر إلى المنطقة المحجورة.

3.2.4. سخرية المنطقة الواحدة من ذاتها: ترفع السخرية من الذات الحرج عنها، وتبقي على ماء الوجه، حين يمتلك المتندر القوة والجرأة للسخرية من ذاته، أو ينعم بحس فكاهي يمكنه من الخروج من المأزق، وتلك وظيفة اجتماعية هامة للهزل إبان الرفع التدريجي للحجر. ولنمثل لهذا الموقف بالبيضاويين المعروفين بروح الدعابة، فقد سخروا من حالهم بعد تصنيفهم ضمن المناطق الموبوءة التي لم يرفع عنها الحجر منذ البداية:



البطاقة  
ة 48



البطاقة  
ة 47

تطلعنا البطاقة 47 على شكل من أشكال خرق الحجر في المناطق الموبوءة، مما من شأنه الإجهاز على جهود الدولة في حصر الوباء. مثل الساخر لهذا الموقف بمشهد الهجرة السرية الساحلية؛ فمهما اختلفت الوجهة والهدف والمقابل، تظل الطريقة لا شرعية، بل قد تؤدي في حالنا إلى هلاك المهاجر والمهاجر إليه، فيما عرف عند موربي بسخرية القدر أو السخرية الميتافيزيقية<sup>36</sup>.

وإذا كان حل الأزمة عند فئة هو الهروب ولو كان مدميا، فإنه ينطلق عند فئة أخرى من التغيير السلوكي ولو تحقق بالقوة، متوسلة برمز من رموز الصمود والنضال والحزم (القائدة حورية بمنطقة آسفي-البطاقة 48-) لتغيير الوضع والالتحاق بالركب مما أضاف للسخرية وظيفة إخبارية تعريفية بشخصية ذاع صيتها زمن الحجر.

<sup>36</sup> Morier, H, 1975, Dictionnaire de poésie et de rhétorique, Paris, P.U.F, p. 591.



### خلاصات

احتضن العالم الرقمي مواقع تواصل اجتماعي محفوفة بحرية التعبير المشروطة، فأثمر تفاعلا هزليا، وضحكا جماعيا افتراضيا، وأبان عن نقد ذاتي ثقافي واجتماعي وسياسي؛ كما أجلي وجوده ثقافة تشاركية ساخرة مرتبطة بمجتمع له ثقافته، وله شرائحه الاجتماعية التي تبث السخرية وتتلقاها، وتتفاعل معها معلقة على منشور، أو داعمة لفكر. وقد مرت السخرية -إلى حين كتابة هذه الأسطر- بمراحل ثلاث:

\*مرحلة ما قبل الحجر الصحي: تميزت بالسخرية الإثنية من الصين ثم من بعض الدول الأوروبية، لاستشعار التفوق على دول عظمى ينخرها الداء في الوقت الذي ساد فيه الأمن والأمان البلاد، وقد فسرت السخرية في هذا المقام نظرية الاستعلاء والتفوق عند أفلاطون وأرسطو وتوماس هوبز، كما أدت وظائف أبرزها النفسية؛

\*مرحلة الحجر الصحي: وهي أكثر الفترات سخرية لتجددها مع كل تمديد حجري. وقد انمازت بتعدد موضوعاتها، فشملت النقد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي والذاتي-وإن كان الاقتصادي أقل حظا والاجتماعي أوفى- منطلقا من معاينة المفارقات التي تعيشها البلاد والعباد، فأطرتها نظرية موريل وكانط وشوبنهاور القائمة على التنافر وعدم التلاؤم والمناسبة، كما اضطلعت بعدة وظائف أهمها النقدية؛

\*مرحلة رفع الحجر الصحي التدريجي: وتميزها السخرية الجهوية، أي التساخر بين مناطق المغرب التي تباينت فيها أشكال رفع الحجر، وتعاقبت فيها فترات التحرر من القيد الصحي، وتفسر السخرية في هذا المقال نظرية الانعتاق والتحرر كما عند سينسر وفرويد، كما أدت وظائف مختلفة منها التعريفية الإشهارية.

وإذا استأثرت كل مرحلة بوظيفة معينة للسخرية، فقد أحاطت أخرى بالمراحل كلها من وظيفة إخبارية، وتأريخية، وتداولية، واجتماعية، وتحسيسية، وتربوية، ونفسية، وحولت المحزن إلى مضحك، والمخيف إلى مألوف.

وقد تعددت أشكال السخرية تعددا شمل ما كان منها لفظا أتاحه التنافر اللغوي، وحققه قلب المعنى؛ وما كان منها قلب المواقف وعكس الأدوار؛ وما كان منها ميتافيزيقيا. كما احتاج التفاعل مع الخطاب الساخر في مواقف عديدة تأويلا اقتضى الإمام بالخصوصيات الثقافية والاجتماعية التي تميز البيئة المغربية، وإدراك الجانب التداولي.

أما آليات اشتغال الخطاب الساخر، المحقق بلهجة عامية ولغة فصيحة، فلا تحيد عن آليات السخرية عموما، من تصوير ووصف ساخرين، وتحويل من آدمي إلى حيواني، ولعب لفظي وآخر دلالي، وخرق لقواعد الحوار والتخاطب الكرايسية، ومحاكاة ساخرة، وأقيسة مغالطية...

وختاما، فإذا شاء الله لهذا العمل أن يقف عند مرحلة رفع الحجر الصحي، فإننا نضرب إليه أن يجعلها آخر مراحل هذا الداء، كما نسأله عزت قدرته، وجلت عظمته، أن يرفع عن العالم هذا الوباء والبلاء، إنه تعالى من وراء القصد، وهو يهدي السبيل...



## لائحة المصادر والمراجع:

1. أخبار الحمقى والمغفلين، ابن الجوزي، دار الآثار للنشر والتوزيع، ط1، 2003.
2. تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، محمد الأمين البزاز، مطبعة النجاح الجديدة، د. ط، 1992.
3. جحا الضاحك المضحك، عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د. ط، د. ت.
4. سيكولوجية الفكاهة والضحك، زكريا إبراهيم، دار مصر للطباعة، د. ط، د. ت.
5. شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، مطبعة السعادة، مصر، ط.1، د.ت.
6. الضحك، هنري برغسون، ترجمة علي مقلد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط. 2، 2007.
7. الضحك في الأدب الأندلسي، دراسة في وظائف الهزل و أنواعه وطرق اشتغاله، أحمد شايب، دار أبي رقرق للطباعة والنشر، الرباط، ط. 2، 2008.
8. "الضحك له عند العلماء تعليقات شتى"، زكريا إبراهيم، ضمن مجلة العربي، صادرة عن وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ع97، دجنبر 1966.
9. الفكاهة والضحك، رؤية جديدة، شاكر عبد الحميد، عالم المعرفة، ع289، 2003.
10. فن الجناس، علي الجندي، دار الفكر العربي، مطبعة الاعتماد، مصر، د. ط، د. ت.
11. المغالطات المنطقية، عادل مصطفى، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، ط.1، 2007.
1. -Bangué, M-P, "l'ironie, essai d'analyse pragmatique", in: "*linguistique et sémiologie*", n 2.
2. -Christopher P, W, 1979, *Jokes, Form, Content, Use, and Function*, Ed. illustrée, European Association of Experimental Social Psychology by Academic Press.
3. -David, C, 1990, *Ethnic Humor around the world, A comparative Analysis*, Bloomington, IN and Indianapolis, IN: Indiana University Press.
4. -Deckers, L, and Buttram. R, 1990, "Humor as Response to Incongruities Within Or between Schemata", in: *Humor*, 1\_3.
5. -Genette, G, 1982, *Palimpsestes, La Littérature au second degré*, Paris, Ed du Seuil, collection. Poétique.
6. -Genette, G, 1988, *Seuils*, Paris, Ed du Seuil, collection. Poétique.
7. -Grice, H,P, 1975, "Logique and conversation" in: *Cole, P. and J. Morgan, Syntax and Semantics, v3, Speech Acts*, New York: Academic, p. p. 41-52.
8. -Kant, I, 1952, *Critique of judgment*, trans. James Meredith. Oxford: Clarendon Press.
9. -Morier, H, 1975, *Dictionnaire de poétique et de rhétorique*, Paris, P.U.F.



10. -Morreall, J, 1983, *Taking Laughter Seriously*, Albany, NY United States: State University of New York Press.
11. -Morreall, J, 1989, "Enjoying Incongruity", in *Humor International journal of humor Research*, Publisher. De Gruyter Mouton, v. 2:1, p.p.1-18.